الباب الثالث

سوريا وفلسطين والأردن

تدل الآثار التى عثر عليها الأثريون فى السنين الأخيرة فى شمال « سورية » وشرقها ، وفى كهوف لبنان وتلال فلسطين وفى الأردن . أن بهذه المنطقة مخلفات إنسان العصر الحجرى القديم . وأن إنسان العصر الحجرى الوسيط قد اكتشف الزراعة ومارس تربية الماشية فى حوالى عام ٦٠٠٠ ق . م .

وتدل الآثار التى عثر عليها لذلك الإنسان على أنه كان على قدر كبير من الحضارة ، عرف استعمال الطين فى عمل مشيداته ، وأقدم هذه الآثار عثر عليها فى « أريحا » بالأردن ، حيث عثر على بقايا مساكن بدائية تتكون من أكواخ من الطين ومنازل من اللبن . وتعتبر هذه المساكن البدائية أقدم مساكن بشرية عثر عليها فى العالم . ولقد عثر فى « أريحا » على أشكال نذرية من الطين على شكل حيوانات مثل البقر والماعز والغنم ، ويفسر ذلك بعض العلماء بأنه ربما كانت للأهالى اعتقادات دينية خاصة ، أو أنهم كانوا يؤمنون بالسحر . وأحسن ما عثر عليه من آثار « أريحا » الجماجم البشرية المغطاة بطبقة جيرية (شكل ٣٠) .

وتشير الآثار التى عثر عليها فى مدينتى تل الجديدة و « رأس الشمرة » والتى بنيت بعد آثار « أريحا » بفترة قصيرة ، إلى أن أهل هذه الفترة كانوا يشيدون المنازل من الطمى وحوائطها وأرضيتها مغطاة بطلاء يميل إلى الحمرة .

ويظهر بالمنطقة تطور محسوس فى العصر الحجرى الحديث فيتوصل الإنسان إلى طريقة عمل الفخار المحروق . كما يكتشف المعادن . وربما يرجع هذا التطور إلى هجرة جديدة لقبائل قادمة من القوقاز حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م .

فمن هذه الفترة نحصل على آثار فنية مختلفة ضمن سهول « العَمْق Amq » [١] حيث عثر داخل المنازل على تماثيل صغيرة لنساء من الطمى المحروق عيونها مرصعة بالأصداف والقواقع الصغيرة . وغالباً ما تكون هذه التماثيل متأثرة بالجماجم البشرية المغطاة بطبقة جيرية ، والتى عثر عليها فى « أريحا » عام ٦٠٠٠ ق . م (شكل ٣٠) ، أما الأوانى الفخارية فتظهر فى « سوريا » بلون واحد . كما عثر فى « تل الجديدة » بشمال سوريا على أوان مزخرفة برسوم بدائية .

وتختلف حضارة العصر الحجرى الوسيط فى سوريا وفلسطين عن سائر الحضارات التى وجدت فى منطقة الشرق الأوسط بأنها تتميز باكتشاف الزراعة وتربية الماشية وعمل مساكن من الطين قبل أن يكتشف الإنسان عملية حرق الفخار .

توسع القوم فى استعمال المعادن وبخاصة النحاس والبرنز فى الألف الرابع ق . م ، وظهرت هذه الآثار فى « أوغاريت Ugarit » بسوريا « وتليلات الغسول Telilat Alghasul » فى فلسطين . ويطلق على هذه المرحلة « الحضارة الغسولية » . وتقع « الغسول » جنوب شرقى « أريحا » . وقد عثر بها على جدران منزل من اللبن سقفه من جذوع القصب المغطى بالطين . كما وجدت على أحد الجدران زخارف لوحدات آدمية وهندسية ، ونجمة مثمنة تشبه زخارف وجدت على أوان فخارية عثر عليها فى « تل حلف » مما يرجّح معاصرة الحضارة « الغسولية » فى فلسطين لحضارة « تل حلف » فى وادى النهرين . وتعتبر هذه الزخارف الجدارية أول محاولة معروفة لزخرفة القسم الداخلى من المنزل ، غير أن هذه الزخارف قد اندثرت الآن ولا وجود لها . وقد تقدم الفن التشكيلى فى سوريا بعد ظهور المعادن ، ويظهر ذلك فى صناعة بعض الحلى والأوانى النحاسية التى عثر عليها فى سوريا الشمالية . كما عثر فى « تل الجديدة » على مجموعة من التماثيل النحاسية الصغيرة . ربما تمثل أشخاصاً متعبدين (شكل ٣١) .

---

(١) تقع منطقة « العمق » بشمال سوريا ومكانها الآن بحيرة تحمل اسم « العمق » .

شكل ٣٠) جمجمة بشرية
لاة بطبقة من الجير عثر
ها فى مدينة « أريحا »
رجع تاريخها إلى العصر
وليثى — « متحف عمان »

شكل ٣١) تماثيل صغيرة
ن النحاس عثر عليها فى
ى الجديدة حوالى عام ٢٩٠٠
. م . ارتفاع التماثيل ١٩
م — ١٣ سم . « متحف اللوفر »
المعهد الشرقى بشيكاجو » .

تلى ذلك مرحلة تأثرت بحضارة وادى النهرين التى ابتدأ انتشارها فى المنطقة ، وتظهر مراكز تتمثل فيها الحضارة السومرية . مثل مدينة «ماري» (تل الحريرى) على الفرات الأوسط . كما يبدأ التأثير الحضارى لمصر فى غزو بعض المراكز ، فيظهر فى « مجيدو » و « جزر » (جيزر أو بيباوس) أنواع من الفخار تشبه الفخار المصرى .